Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على الطّريقة الجاحظيّة أو الغزاليّة ؟

كلاّ ! يبدو لنا ذلك من المستبعد ، لسبب بسيط ، وهو أنّ ابن أبي الحديد لم يعوّدنا بمثل هذه الطّريقة في كتبه الأخرى التي تناهت إلينا .

إنّ المؤلّف – حسب رأينا – يخاطب شخصًا حقيقيًّا ، لا وهميًّا . بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ يخيّل لنا أنّ شخصيّة صديقه الوزير محمّد بن العلقمي ، تتراءى للعيان ، من خلال الصّورة التي رسمها له المصنّف في مقدّمته[1] .

فهذا الذي أهداه ابن أبي الحديد نسخة من كتابه لإثراء مكتبته الخاصّة ، إنّما هو رجل ذو مرتبة اجتماعيّة سامية ؛ وهو منهمك في الأعمال السّلطانيّة الرّسميّة ، التي لا تسمح له بالاطّلاع على المطوّلات من الكتب المنطقيّة . كما أنّ الدّراسات المختصرة ، كرسالة «الآيات البيّنات» للرّازي ، لا تروي ظمأه العلمي لشدّة إيجازها .

وهو أيضًا رجل محبّ للعلم ، أديب حاذق ، وكاتب ذو أسلوب إنشائي ناصع يعتمد الاختصار المقلّ ، لا الإكثار المملّ .

ولشدّ ما تنطبق هذه الأوصاف كلها على ابن العلقمي ، الذي كان – باتّفاق مترجميه[2] – أديبًا متضلّعًا وشاعرًا مجيدًا ، شغوفًا بالعلم ومبجّلاً للعلماء ؛ وكما أسلفنا[3] ، لولا مساعيه لما أفلت الكاتب من قبضة هولاغو . كما كان جمّاعة للكتب ؛ وقد كانت له مكتبة جليلة حوت – حسب ما رواه ابن الطّقطقى – من نفائس التّصانيف ما ينيف على العشرة آلاف مجلّد[4] . وقد سبق أن أهدى له ابن

---

1 نفس المصدر : ص 83 .

2 راجع بالخصوص : ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة : ص 208 ، 336 وغيرهما ؛ ابن الطّقطقى ، الفخري في الآداب السّلطانيّة : 337–339 ؛ ابن كثير ، البداية والنّهاية : 212/13 ؛ ابن شاكر ، فوات الوفيات : 312/2 .

3 راجع فيما تقدّم : ص 16 .

4 ابن الطّقطقى ، الفخري : 337 ؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعية : 209–210 .